ببيليوغرافيا بعض المصنفات النقدية في المشرق والمغرب

د.جلول دواجي عبد القادر
جامعة الشلف

ملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية قراءة توصيفية مختصرة لبعض الكتب النقدية التي تعتبر هامة ومهمة في النقد العربي الأدبي القديم، وهي مصادر ينهل منها ويغرف كل من يبحث في التراث النقدي العربي القديم، فالنقد العربي في العصر العباسي نزع إلى البحث والتأليف على أيدي ثلة من النقاد وعلماء الأدب، الذين خاضوا في الموازنات والموازين النقدية، كابن سلام والجاحظ وابن قتيبة وغيرهم، ثم بدأت التصانيف تتوالى حتى القرن الثامن في المشرق والمغرب والأندلس.

ونسعى في هذه البحث إلى تتبع بعض المصنفات النقدية المهمة التي ألمت بأهم القضايا النقدية التي طرحها الخطاب النقدي القديم عبر القرون المتوالية.

التعريف اللغوي والاصطلاحي للببليوغرافيا[1]:

يبليوجرافيا: (بالإنجليزية: Bibliography) من الكلمات غير العربية التي دخلت إلى اللغة العربية معربة في العصر الحديث، وقد جاءت هذه الكلمة أصلا من اللغة اليونانية وهي مركبة من كلمتين هما: Biblion كتيب وهي صورة التصغير للمصطلح Biblios بمعني كتابة، وكلمة Graphia وهي اسم الفعل المأخوذ من Graphein بمعني ينسخ أو يكتب، وقد كانت ببليوجرافيا تعني منذ ظهورها خلال العصر الإغريقي وحتى القرن السابع عشر "نسخ الكتب" وظلت تحمل نفس المعني حتى تحول مدلولها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر من "نسخ الكتب" أو "كتابة الكتب" إلى "الكتابة عن الكتب".

إذن الببليوجرافيا كلمة تتكون من مقطعين ببليو معناها (كتاب) وجرافيا تعني (وصف) ولهذا فإن ابسط تعريف للكلمة هو (وصف الكتب).

والببليوجرافيات هي البيانات الببليوجرافية: كاسم المؤلف، عنوان الوعاء، الطبعة، بيانات النشر، عدد الصفحات... عن أوعية المعلومات سواء أكانت نوعية واحدة فقط أو عدة نوعيات معا.

وقد جرت محاولات عربية بديلة لكلمة ببليوجرافيا مثل كلمة وراقة وكلمة ثبت، ولم تلق الكلمات البديلة قبولا لدى المكتبين العرب فبقيت الكلمة ببليوجرافيا هي المستخدمة.

ويعرف قاموس أكسفورد "ببليوجرافيا" بأنها (نسخ أو كتابة الكتب، وصف وتاريخ الكتب من ناحية التأليف والطباعة والنشر وغير ذلك، قائمة بالكتب الخاصة بمؤلف أو ناشر أو وطن أو فكرة معينة أو موضوع معين).

تشتمل القائمة الببليوجرافية في العادة علي حصر شامل أو غير شامل به بيانات ببليوجرافية عن مصادر المعلومات المستقلة مثل الكتب أو الرسائل الجامعية أو الدوريات وغير ذلك، وقد تقتصر الببليوجرافية علي نوع واحد مثل الكتب وقد تغطي نوعين أو أكثر من أنواع مصادر المعلومات، وهي قائمة مرتبة وفقا لنظام ما بالمصادر الخاصة بموضوع معين أو شخص معين أو تلك الصادرة في فترة زمنية معينة أو في مكان محدد[2].

أولا: المصنفات النقدية في المشرق:

1- "طبقات فحول الشعراء" لابن سلام الجمحي (ت 231 هـ):

محمد بن سلام الجمحي من علماء أواخر القرن 2 هـ وأوائل القرن 3 هـ، أحد الإخباريين والرواة كما قال فيه صاحب "الفهرست" ويعد أحد نقدة الشعر النفاذ فيه، ألف كتابا أو كتابين في طبقات الشعراء، مات ابن سلام سنة (231 هـ)،

ومات أستاذه حماد بن سلمة سنة(269 هـ) في خلافة المهدي بن المنصور، وكان ابن سلام بصريا فعرف يونس وخلفا و أبا عبيدة و الاصمعي، ورأى المفضل الضبي حين قدم هذا إلى البصرة[3] .

لقد تكلم ابن سلام في جمال الشعر الفني، وفي مذاهب الشعراء وفي منازل بعض منهم، وفي الأشعار التي تسند إلى غير قائليها، وفي النظر إلى الأدب نظرات متصلة ببيئته وصاحبه أو الحالة الاجتماعية التي نشأ فيها، وتعرض ابن سلام لكثير من الشعر والشعراء بالنقد والحكم[4] .

حرص ابن سلام على التحلي بالروح العلمية لمعالجة الكثير من القضايا التي تناولها في كتابه "طبقات الشعراء"، وتتبدى هذه الروح العلمية في تحديده لموضوع البحث، إذ حاول التأريخ للشعر في فترة الجاهلية وصدر الإسلام و العصر الأموي، وحصر موضوع بحثه في الشعراء المعروفين المشهورين الذين لا تحوم الشكوك حول تاريخهم وأصالة أشعارهم بقوله: " ذكرنا العرب وأشعارها والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيامها إذا كان لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب، وكذلك فرسانها وسادتها وأيامها فاقتصرنا من ذلك على ما يجهله عالم ولا يستغني عن علمه ناظر في أمر العرب فبدأنا بالشعر"[5] .

ويريد ابن سلام من قوله هذا إلى نقد المنهج الذي كان سائدا قبله في التأليف والذي كان يتميز بالموسوعية وتزاحم الموضوعات وتداخلها في بحث واحد، وأراد توجيه الباحثين والدارسين إلى أصول البحث التي تفرض على الباحث أن يحدد موضوع بحثه ليتمكن من تركيز جهوده فيه وتعميق دراسته واستقصاء مصادره، كما يفهم من قوله هذا أنه يريد أن يقدم للباحثين مادة شعرية سليمة من الزيف والتزوير يمكن أن يطمئن إليها الباحثون والدارسون.

وهناك مظهر آخر تتجلى فيه منهجية ابن سلام وهو اعتماده على التاريخ في معالجة قضية الشعر الموضوع، وفي تصنيفه للشعراء حسب عصورهم فعن الشعر الموضوع أبطله ابن سلام وذكر بأن هناك تواصل بين الأحداث والأجيال في تسلسل مترابط لا تنفصل حلقاته، وهذا ما لم يتحقق في بعض العصور التي ينسب إليها بعض هذا الشعر، كالشعر الذي ينسب إلى عاد وثمود وغيرهما، حيث انفصلت هذه العصور عن العصور اللاحقة انفصالا كليا ولم يبق منها أي معلم حضاري أو ثقافي دال عليها، واستجهل الرواة والقصاصين الذين تداولوا ذلك الشعر، ويرى ابن سلام أن الأدب تراث فني وثقافي واجتماعي وتاريخي تتوارثه الأجيال المتلاحقة عبر تاريخها المشترك بفضل ما يتحقق بينها من تواصل تاريخي واستمرار حضاري وثقافي.

ومهما يكن من أمر فـ"طبقات الفحول يعتبر أول مؤلف نقدي موجود يستند إلى نظرية الطبقات، ولأنه كذلك فقد اعتمد ابن سلام منهجية واضحة جعلت بعض مؤرخي النقد العربي يرون فيه أول ناقد متخصص يصدر عن منهج مستقيم وروح علمية[6].

فإذا قلنا بأن هذا الكتاب أول كتاب موجود في الطبقات فهذا لا يعني أن ابن سلام أول من ألف في الطبقات، فقد سبقه إلى ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى كما أشار ابن النديم في "الفهرست" غير أن ضياع كتاب أبي عبيدة جعل مؤرخي النقد يشيرون إلى ابن سلام بصفته أول من ألف في الطبقات[7] .

مع أن الرجلين متعاصران فأبو عبيدة توفي 208 هـ، وابن سلام توفي عام (231 هـ)، ومن الثابت أن ابن سلام روى عن أبي عبيدة أكثر من مرة، ووصفه بأنه من أهل العلم[8] هناك أساس آخر اعتمده ابن سلام إضافة إلى التاريخ و هو البيئة حيث أفرد طبقة خاصة مستقلة سماها (شعراء القرى العربية)[9] .

– قسم ابن سلام الشعراء إلى خمسة أقسام ترجم فيها لـ 114 شاعرا مرتبين داخل كل قسم في طبقة واحدة أو طبقات على حسب أهمية إنتاجه الشعري كما و كيفا أي اعتمد على الجودة والكثرة في الشعر وهما المقياسان اللذان اعتمدهما في المفاضلة بين الشعراء وإنزالهم منازلهم داخل كل طبقة.

هذه الأقسام :

1- طبقة الفحول الجاهليين (10طبقات)،

2- طبقة أصحاب المراثي (واحدة)،

3- طبقة شعراء القرى (المدينة و مكة و الطائف و البحرين)،

4- طبقة شعراء يهود،

5- طبقة فحول الإسلام (10 طبقات)[10]

إن ابن سلام صنف الشعراء على أساس الزمان والمكان ففصل بينهم على أنهم جاهليون وإسلاميون دون أن يحسب حسابا لفئة المخضرمين مع أن هذا التعبير ورد في كتابه[11]

ومن الشروط التي يجب أن تتوفر في الناقد عند ابن سلام ما يلي:

1. الدربة والممارسة: فالشعر صناعة وثقافة والشعر لا يعلمه إلا أهل العلم به، وهنا يتحدث عن ذوق العلماء في نقد الشعر، فهذا الذوق لا ينبغي أن يسير على هواه بل يهذب بالدربة والممارسة.
2. تحقيق النصوص: لابد للناظر في الشعر أن يتأكد من صحة النصوص التي يود الحكم عليها وصحة روايتها، ومعرفة صدق رواتها، فقد أدخل الكثير على الشعراء مما لم يقولوه حتى قولوا عادا وثمودا ...
3. معرفة النحو: فالناقد يجب أن يكون عالما بصحة اللغة وأصولها[12].

ومن العيوب والمآخذ التي أخذها العلماء على هذا الكتاب ما يلي:

1. إهماله لبعض فحول الشعراء كعمر بن أبي ربيعة والطرماح والكميت بن زيد الأسدي.
2. خلطه لبعض الشعراء الجاهليين وإدراجهم مع الإسلاميين مثل بشامة بن الغدير وأبا زيد الطائي[13].

ولكن بالرغم من هذا إلا أن له فضلان عظيمان:

1. فضل تسجيل ما سبقه من النقد.
2. فضل محاولة ترتيبه في أسلوب علمي جيد[14].

2- "نقد الشعر" لقدامة بن جعفر:

من أسرة مسيحية كانت تعيش في البصرة، اعتنق الإسلام أيام المكتفي بالله، وكان ملما بالأدب اليوناني سيما كتب أرسطو في الشعر و الخطابة، في كتابه ما يستدل به على استفادته من هذين الكتابين، وكان ابن النديم قد وصفه بأنه كان "أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء وممن يشار إليه في علم المنطق"[15]

لماذا ألف نقد الشعر؟ : لاحظ قدامة أن "العلم بالشعر ينقسم أقساما:

1- قسم ينسب إلى علم عروضه ووزنه.

2- قسم ينسب إلى علم قوافيه و مقاطعه.

3- قسم ينسب إلى علم غريبه و لغته.

4- قسم ينسب إلى علم معانيه و المقصد منه.

5- قسم ينسب إلى علم جيده ورديئه.

وقد عنى الناس بوضع الكتب في القسم الأول وما يليه إلى الرابع عناية تامة، فاستقصوا أمر العروض والوزن وأمر القوافي والمقاطع وأمر الغريب والنحو وتكلموا في المعاني الدال عليها الشعر، وما الذي يريد بها الشاعر، ولم أجد أحدا وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتابا... رأيت أن أتكلم في ذلك بما يبلغه الوسع"[16].

بهذه المقدمة بدأ قدامة بن جعفر كتابه "نقد الشعر" وعرض فيها أقسام الشعر وفي الأقسام التي ترجع إلى العروض والوزن والقافية واللغة والمعاني: وهذه الأقسام هي التي حظيت باهتمام الدارسين رغم أنها غير ضرورية للشعر ولا تكفي وحدها لإقامة العلم بالشعر، لذلك وجب توجيه البحث إلى أصول الشعر وما يعتري هذه الأصول من أحوال وصفات، وما تتطلبه هذه الأحوال والصفات من شروط و مقاييس للوصول إلى منهج واضح لنقد الشعر يهدف إلى تمييز جيده من رديئه، وهذه المهمة يرى قدامة أنه أول من اضطلع بها في تاريخ النقد العربي.

و خلص قدامة من هذه المقدمة إلى فصول الكتاب التي تشكل هيكلا منسجما ومتكاملا تتفرع أجزاؤها من قاعدة أساسية هي تعريفه للشعر، إذ كل أقسام الكتاب هي تفصيلات لمعطيات هذا التعريف، و يحتوي الكتاب على ثلاثة فصول:

1- الفصل الأول: تعريف الشعر وتحديد أصوله: اللفظ والمعنى والوزن والقافية ويسميها أجزاء مفردة، و يؤلف من هذه الأجناس الأربعة المفردة أربعة أجناس أخرى مركبة هي:

1- ائتلاف اللفظ مع المعنى، 2- ائتلاف اللفظ مع الوزن، 3- ائتلاف المعنى مع الوزن، 4- ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت[17]

و بالتالي تصبح أجناس الشعر ثمانية: وهي الأربعة المفردات البسائط التي يدل عليها حده، والأربعة المؤلفات منها[18] .

فإذا توافرت في النص الشعري نعوت (صفات الجودة) المفردات و المركبات جميعا كان كذلك منتهى الجودة، وإذا سلب النص الشعري هذه النعوت بما يناقضها كان كذلك في منتهى الرداءة، وبين الجودة والرداءة حالات وسطى تتحدد بمقدار قرب النص أو بعده عن عناصر الجودة[19] .

الفصل الثاني: تحدث فيه عن أجناس الشعر مفردة ومركبة، ودعم رأيه في كل هذه النعوت بكثير من النصوص الشعرية اختارها من عيون الشعر العربي.

الفصل الثالث: خصصه قدامة لعيوب الشعر ملتزما بنفس المنهج الذي نهجه في الفصل الثاني الخاص بنعوت الشعر، فتحدث عن عيوب الشعر مفردة ومركبة ومثل لذلك بنصوص شعرية.

3- "عيار الشعر" لابن طباطبا العلوي:

يعتبر كتاب "عيار الشعر" من الكتب النقدية المهمة التي شقت طريقها في تاريخ النقد العربي، رسم فيه ابن طباطبا ملامح واضحة للنظرية النقدية المتعلقة بمفهوم الشعر، وقواعده و أصوله، فهو كما يقول أحد النقاد: "كتاب معني بتحديد أصول الفن الشعري، مما يجعله يلتقي مع كتاب "نقد الشعر" لقدامة بن جعفر"، و كتاب "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" لحازم القرطاجني، وذلك لأن هذه الكتب الثلاثة تشغل بقضية تأصيل الفن الشعري في ذاته، وتحاول أن تقدم تصورات نقدية متماسكة تحدد ماهية الفن الشعري، كما تحدد وظيفة له على الشعراء"[20] .

تعريف الشعر و أدواته: يعرف ابن طباطبا الشعر بأنه "كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم بما يخص به النظم الذي إن عدل عن جهته مجته الأسماع وفسد على الذوق"[21]

وابن طباطبا يلتقي مع قدامة في تعريف الشعر، إلا أن ابن طباطبا لم يخصه بالوزن والقافية وإنما اختار لفظا أكثر شمولا، وهو النظم الذي يضم القوافي والوزن والموسيقى الداخلية للبيت في تفعيلاته المختلفة .

ولذا جعل شرط توفر النظم أساسا في تعريف الشعر لارتباطه بالذوق والأسماع، ولم يفصل ابن طباطبا في تحديد مصطلح النظم لأنه معروف عند الشعراء وغيرهم مقترن بالموهبة الشعرية والذوق الذي يصقل الموهبة وينميها، والشاعر الموهوب يعرف بطبعه عروض الشعر وقوافيه دون الحاجة إلى التعلم لأن سليقته السليمة تدل عليه، وإذا توفرت له الموهبة فلن يضيره تعلم العروض، وحذق ميزان الشعر.

يقول"ونظمه معلوم محدود، فمن صح طبعه وذوقه، لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن عن تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحذق به، حتى تعتبر معرفته المستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه"[22]

وهنا ينبه ابن طباطبا على تفاوت الأشعار لا من حيث الجودة والرداءة فحسب، بل من حيث تفاوت النفس الإنسانية واختلاف الناس في مشاعرهم وتفكيرهم وأحاسيسهم، ومدى تقبلهم لهذه الأشعار، يقول: "والشعر... مختلف كاختلاف الناس في صورهم وأصواتهم وعقولهم، وخطوطهم وشمائلهم، وأخلاقهم، فهم متفاضلون في هذه المعاني، وكذلك الأشعار هي متفاضلة في الحسن على تساويها في الجنس"[23]

أما أدوات الشعر التي يحتاج إليها الشاعر تعين موهبته الشعرية وطبعه الصحيح، حيث يقول: "وللشعر أدوات يجب إعدادها قبل مراسه، وتكلف نظمه، فمن تعصت عليه أداة من أدواته لم يكمل له ما يتكلفه منه، و بات الخلل فيما ينظمه و لحقته العيوب من كل جهة"[24].

وهذه الأدوات هي: "التوسع في علم اللغة، والبراعة في فهم الإعراب، والرواية لفنون الآداب والمعروفة بأيام الناس وأنسابهم ومناقبهم ومثالبهم"[25]

وهذه الشروط يمكن أن نجملها في ثقافة الشاعر ومعارفه، ويضيف إلى هذه الشروط عنصرا مشاركا آخر، لأنها لا تكفي وحدها ألا وهو العقل حيث قال: "وجماع هذه الأدوات هو العقل الذي به تتميز الأضداد ولزم العدل وإيثار الحسن واجتناب القبيح ووضع الأشياء مواضعها"[26]

وكان ابن طباطبا يستشهد ويتمثل بالأبيات والمقطوعات والقصائد في مباحثه التي تحدث عنها، مثل شعر زهير وأبي ذؤيب الهذلي وعنترة وسلامة بن جندل وغيرهم من شعراء العصر الجاهلي، ثم قصائد للمغيرة بن حبناء والفرزدق والراعي النميري وأبي النجم العجلي.

الإبداع الشعري في "عيار الشعر":

يعتبر ابن طباطبا في كتابه أول ناقد تناول عملية الإبداع للقصيدة العربية بتتبع المراحل التي يمر بها الشاعر ابتداء من وضعه الفكرة حتى تستوي قصيدة متكاملة.

وهذه المراحل هي :

1- الفكرة نثرا: و هي فكرة تجول في خاطر الشاعر نثرا و هذا يذكرنا بعبد الله بن رواحة عندما سأله الرسول صلى الله علي و سلم: "كيف تقول الشعر؟ "قال: أفكر ثم أقول.

2- تشكيل الفكرة النثرية بقوالب الشعر، وألفاظه وقوافيه وأوزانه.

3- التسلسل في الأبيات وتلاحمها.

4- التهذيب وإعادة النظر في القصيدة[27]

4- "البيان والتبيين" للجاحظ: (160هـ-255هـ)

يعد الجاحظ من أشهر أدباء القرن الثالث الهجري، كان لا يقع بيده كتاب إلا استوفى قراءته كائنا ما كان، حتى إنه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر[28].

تتميز مؤلفاته بميزتين و ظاهرتين واضحتين هما: 1 - الاستطراد، 2- مزج الجد بالهزل[29]

و يعتبر الجاحظ "أول من أثار من نقاد العرب مشكلة اللفظ والمعنى إثارة واسعة وقد تحدث عنها في كتبه أحاديث كثيرة، وهو في كل شق من هذه الأحاديث يرفع من شأن اللفظ ويغض من شأن المعنى، بل إنه ليسقطه إسقاطا، فليس له فضل ولا مزية ولا قيمة فنية"[30]

يقول الجاحظ: "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير"[31]

ومنذ أن قال الجاحظ هذه العبارة الشهيرة بدأ الحديث عن اللفظ والمعنى، ودار جدل كبير حول ما يقصد به الجاحظ من هذه العبارة قديما وحديثا، وسرعان ما تم تقسيم نقاد العرب إلى أنصار للفظ وأنصار للمعنى وكثرت الدراسات التي تتحدث عن اللفظ والمعنى وأيهما أحق بالتقدمة من الآخر"[32].

فالجاحظ يعتنق فكرة اللفظ كمذهب أدبي ديني أيضا، وهو بهذا يرد على فرق المتكلمين في مسألة الإعجاز وقد دارت بينهم آراء كثيرة، قالت طائفة إن القرآن معجز بمعانيه، لكن ماذا يراد بالمعاني؟ هل هي القصص؟ فالقصص موجودة في الكتب السابقة (التوراة والإنجيل) وهي ليست معجزة، هل هي الحكم؟ إن كانت كذلك فزرادشت كتب فيها حكما كثيرة، وهذا ابن المقفع يستطيع أن يكتب كتابا في الحكم والأمثال، من أجل ذلك رأى المتكلمون أن الاحتكام إلى المعاني في بيان الإعجاز غير دقيق لأن المعاني مشتركة بين الأمم، وخرج النظام يقول إن إعجاز القرآن بالصرفة، فالعرب كانوا يستطيعون أن يأتوا بمثله لكن الله صرفهم عن ذلك، ولكن هذه الفكرة لا تشفي النفس المؤمنة، بل تؤذيها كما آذت الجاحظ الذي ذهب يبحث عن علة صحيحة، وكان أن هداه تفكيره إلى أن القرآن معجز بنظمه وتأليفه، ففي هذا الجانب يستقر جماله الفني الذي أعجز العرب أن يأتوا بمثله، وقد اندفع يشيد في الأدب كله باللفظ، فهو وحده معيار البلاغة لا المعنى كما يظن بعض الناس، فالمعاني مطروحة في الطريق[33].

شروط الألفاظ: من الشروط التي اشترطها الجاحظ في وصف الألفاظ: البلاغة والفصاحة للنص الجيد، فقد جعل بلاغة اللفظ مقابلة لشرف المعنى[34].

قال الجاحظ: "وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا أو ساقطا أو سوقيا، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا"[35].

فالوحشي والحوشي بمعنى واحد كأنه منسوب إلى الحوش وهي بقايا ابل وبار بأرض قد غلبت عليها الجن فعمرتها ونفت عنها الإنس لا يطأها انيس[36].

و الفصاحة هي أن يكون اللفظ جزلا ليس غريبا ولا سوقيا مبتذلا وأن يكون مستقيما لا تخرج دلالته على استعمال العرب[37].

فالألفاظ تختلف بـ[38]:

1- اختلاف الألفاظ باختلاف البيئة: لغة البادية غير لغة الحاضرة.

2- اختلاف الأساليب باختلاف المتحدثين: الأدباء والبلغاء يختلفون، والمخاطبون أيضا يختلفون.

3- اختلاف الأساليب باختلاف المعاني: فكل معنى من المعاني لا يجمل إلا بالألفاظ المشاكلة له.

5- "الشعر و الشعراء" لابن قتيبة: (ت 276 هـ) (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة):

يعتبر كتاب "الشعر والشعراء" من عيون كتب التراجم والأدب، أنجز في أواسط القرن 3 هـ، وقسمه صاحبه إلى قسمين:

1- في الشعر وفنونه وأقسامه وعيوبه وجيده ورديئه.

2- في تراجم الشعراء من الجاهلية إلى زمانه (منتصف ق 3هـ)

فالجاحظ عندما تحدث عن اللفظ و المعنى جعل النقاد من بعده يدلي كل منهم بدلوه، ومنهم ابن قتيبة الذي فصل بين الألفاظ وبين المعاني، وعن طريق هذا الفصل تم تقسيم الشعر: قال: "تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب:

1- ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه.

2- وضرب منه حسن لفظه وحلا فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى.

3- وضرب منه جاد معناه وقصرت عنه ألفاظه.

4- وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه"[39]، وضرب الأمثلة الشعرية عن كل ضرب.

ووضع ابن قتيبة مقياس الجودة أساسا لاختيار الأشعار والترجمة لأصحابها ملغيا بذلك عدة مقاييس كانت تحكم غيره من المؤلفين والرواة، وتسيطر على أهوائهم، وبين منهجه في المقدمة[40]:

1- الحكم بموضوعية على الأشعار دون التأثر بآراء العلماء المسبقة والابتعاد عن تقليدهم.

2- عدم التأثر بمكانة الشاعر الاجتماعية، فقد نال كثير من الأشخاص شهرة بسبب نشاط مارسوه في الحياة السياسية أو الاجتماعية أو الفكرية: تطبيق مبدأ العدالة في اختيار الأشعار الجيدة، قال: "فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له، وأثنينا به عليه، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله ولا حداثة سنه كما أن الرديء إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه"[41].

و سبب اختيار ابن قتيبة لهذا المنهج حجتان مقنعتان هما:

1- إن الله لم يقصر العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوما دون قوم، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر.

2- إن كل قديم كان محدثا في زمانه، كما أن كل ما كان محدثا في زمن ما سيصير قديما بمرور الأيام والسنين، وقد ضرب لهذا شواهد من الشعر العربي، حيث "كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يعدون محدثين، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: "لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته، ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم، وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا، كالخريمي و العتابي والحسن بن هانئ، وأشباههم"[42].

ثانيا: بعض المصنفات النقدية في المغرب والأندلس:

1 "العمدة في محاسن الشعر وآدابه" لابن رشيق القيرواني:

أشهر تآليف ابن رشيق القيرواني التي تنيف على ثلاثين كتاباً، وهو الكتاب الذي خلد اسمه وشهره من بين آثاره، وقد أراد له أن يكون موسوعة في الشعر ومحاسنه ولغته وعلومه ونقده وأغراضه، والبلاغة وفنونها، وما لابد للأديب من معرفته من أصول

علم الأنساب، وأيام العرب، وملوكها وخيولها وبلدانها، وفيه 59 باباً في فصول الشعر وأبوابه، و39 باباً في البلاغة وعلومها و 9 أبواب في فنون شتى، ومن أبوابه الممتعة باب سرقة الشعر وأنواعها: كالسلخ والاصطراف والانتحال والإغارة والغصب والمرادفة والاهتدام والإلمام والاختلاس والمواردة. قال ابن خلدون: (وهو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة وإعطاء حقها، ولم يَكتب فيها أحدٌ قبله ولا بعده مثله)[43].

2- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي: كتاب ابن عبد ربه الذي خلد ذكره في الدنيا، ألفه في وقت كانت فيه قرطبة في أوج ازدهارها. وقد جرت العادة أن يقال عند ذكره أن الكتاب لما وقع إلى الصاحب ابن عباد قال: هذه بضاعتنا ردت إلينا. إلا أن منهجه في تقسيم الكتاب وتنسيقه حبب إليه عشاق الأدب فتداولوه، وراج في الشرق كما يقول محمد كرد علي على مر العصور، وإن كان قد تسوقه من بضائع المشرق وأسواقه. ولا خلاف في أن اسم الكتاب الذي سماه به مؤلفه هو (العقد) وأن صفة (الفريد) نعت لحق الكتاب في وقت متأخر، ولعل أول من نعته بالفريد هو الأبشيهي صاحب كتاب (المستطرف من كل فن مستظرف) المتوفى سنة 852هـ قال ابن خلكان: (وهو من الكتب الممتعة، حوى كل شيء) وقال ابن كثير: (يدل من كلامه على تشيع فيه) واختصره أبو إسحق الواداشي المتوفى سنة 570هـ وابن منظور صاحب لسان العرب. وقد أبان مؤلف العقد عن منهجه في تأليف الكتاب بقوله: (ألفتُ هذا الكتاب وتخيرت نوادر جواهره من متخير جواهر الآداب ومحصول جوامع البيان وسميته بالعقد لما فيه من مختلف جواهر الكلام مع دقة السلك وحسن النظام وجزأته على خمسة وعشرين كتاباً، كل كتاب منها جزآن، فتلك خمسون جزءاً قد انفرد كل كتاب منها باسم جوهرة من جواهر العقد، فأولها كتاب اللؤلؤة في السلطان؟.) وقد طبع الكتاب مرات كثيرة، كان أولها طبعة بولاق (1292هـ 1875م) قال الدكتور السعيد الورقي: وقد تم حديثاً اكتشاف عدد من مخطوطات العقد في مكتبات المغرب لم تكن معروفة من قبل، الأمر الذي يجعل من المفيد إعادة تحقيق الكتاب في ضوء ما تتضمنه هذه المخطوطات من جديد المرجع: في مصادر التراث العربي، د. السعيد الورقي، ص56 وانظر ما كتبه حازم عبد الله في مجلة آداب الرافدين (المجلد 7 ص351) بعنوان: العقد الفريد بين المشرق والأندلس[44].

3- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الأندلسي: لذخيرة في محاسن أهل الجزيرة كتابٌ ألفه أبوالحسن علي بن بسَّام، التغلبي، الشنتريني (460 - 542هـ، 1067-1147م). من أعلام الكُتَّاب والنقاد الأندلسيين في القرنين الخامس والسادس الهجريين. ولد بجزيرة شنترين، وإليها نسب، في أسرة ميسورة الحال، عنيت بتربيته وتعليمه وإعداده لمستقبل زاهر. أظهر ابن بسام قدرًا من الموهبة الأدبية منذ الصغر، وبدأ يكتب الشعر والنثر فلفت الأنظار إليه.

و كتاب الذخيرة أهم آثار ابن بسام الأدبية. وقد اكتسب الكتاب شهرة جعلت ابن بسام والكتاب فرسي رهان؛ يُكتفى بذكر الذخيرة أو ابن بسام ليدل أحدهما على الآخر.

توفر ابن بسام على كتابه الذخيرة وسعى لجمع مادته، التي تقدم تراجم للشعراء والأدباء لعصر الطوائف، وأوائل عصر المرابطين، كما تقدم طائفة من الأخبار السياسية والاجتماعية عن أمراء الأندلس وحكامها.

ينقسم كتاب الذخيرة إلى أقسام أربعة: 1- قسم يتحدث عن قرطبة وما يواليها من وسط الأندلس.2- قسم عن إشبيليا وما يجاورها من غربي الأندلس. 3- قسم عن بلنسية وما يصاقبها من شرقي الأندلس. 4- قسم يتحدث عن الأدباء والشعراء والعلماء الذين وفدوا على الأندلس من المشرق أو من شمالي إفريقيا.

ولابن بسام في هذا الكتاب نظرات نقدية فاحصة؛ إذ لم يكتف بالنماذج الشعرية أو النثرية، بل كان يعمد إلى شيء من التحليل والتقويم، وهو بذلك أدق حسًا في النقد من الثعالبي في يتيمة الدهر. ومن العماد الأصبهاني في خريدة القصر.

يُعد كتاب الذخيرة من المؤلفات التي أظهرت النزعة الأندلسية، وحاولت أن تجعل للأندلس شخصية أدبية وفكرية مميزة، ومن ثَم فهو يختلف في منهج تأليفه عن العقد الفريد لابن عبدربه؛ الذي استمد مادته من المشرق، فابن بسام كان يعيب على أهل الأندلس تقليدهم لأهل المشرق، وإهمالهم ما يتصل بأندلسهم. وقال في ذلك عبارته المشهورة ناعيًا على أهل الأندلس ذلك ,إلاّ أن أهل هذا الأفق أبوا إلاّ متابعة أهل المشرق، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة، رجوع الحديث إلى قتادة، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب، أو طنّ بأقصى الشام ذباب، لجثوا على هذا صنمًا وتلوا ذلك كتابًا محكمًا·

قدَّم كتاب الذخيرة صورة طيبة لوجوه الأدب الأندلسي؛ حيث ذكر أكثر من 90 شاعرًا وكاتبًا، محاولاً من خلال نماذجهم، أن يثبت تفوق الأندلس وأصالة أهله مقارنة بالمشرق.

توفي ابن بسام، بعد أن قدم سِفْرًا أصيلاً وجهود سنين مضنية في المعرفة والبحث، ولولاه لظل الكثير من روائع الأدب الأندلسي محجوبًا عن الباحثين والدارسين[45].

هذا قليل من كثير، فالمصنفات النقدية القديمة كثيرة لا تسعنا هذه الصفحات للحديث عنها كلها، نذكر منها مثلا: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي والصناعتين للعسكري والموازنة بين الطائيين للقاضي الجرجاني وكتاب البديع لابن المعتز وغيرها من كتب البلاغة والموازنات والشروحات الأدبية واللغوية التي تحمل هي الأخرى قضايا نقدية عديدة ومتنوعة لا تزال كتب النقد الحديثة والمعاصرة تُنظِّر لها مزاوِجةً بين التنظير والإجراء.

الهوامش

اعتمدت في الورقة البحثية هذه بعض المصادر التي تضمها المكتبة الشاملة وهي مكتبة الكترونية وهي مكتبة موثوقة ومطابقة لما في الكتب الورقية. فرمزت 1للمكتبة الشاملة بـ (مش) أي المكتبة الشاملة.

2 موقع ويكيبيديا الالكتروني.

3طه احمد إبراهيم :تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن4 هـ ،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان، 1937 ،ص73.

4المرجع السابق، ص 74 .

5ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء، ص01، المكتبة الشاملة.

6ابتسام مرهون الصفار و ناصر حلاوي: محاضرات في تاريخ النقد عند العرب، جهينة للنشر و التوزيع، الاردن، 2006 م، ص107 .

7المرجع نفسه، ص 108

8نفسه ، ص 108 .

9نفسه، ص 109.

10- ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء مع مقدمة تحليلية للكتاب ودراسة نقدية منذ الجاهلية إلى عصر ابن سلام، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان 1968، ص (ب) من المقدمة.

11بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص 5.

12ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص"د".

13 ابتسام مرهون الصفار و ناصر حلاوي: محاضرات في تاريخ النقد عند العرب، ص124 وما بعدها.

314. ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص"ز".

15ابن النديم البغدادي، الفهرست، طبعة مصر،دت، ج1، ص 144.

16قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص1 .

17المصدر نفسه ، ص 1

18نفسه ، ص3 (مش)

19ابتسام مرهون الصفار و ناصر حلاوي:محاضرات في تاريخ النقد عند العرب، ص 298.

20محمد جابر عصفور: مفهوم الشعر، القاهرة، 1982، ص25.
21ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، ص1 (الموسوعة الشاملة).
22المصدر نفسه، ص 01(مش)
23المصدر نفسه، ص 02(مش)
24ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، ص 01 (مش)
25نفسه، ص01.
26ابتسام مرهون الصفار وناصر حلاوي: محاضرات في تاريخ النقد الادبي عند العرب، ص244..
27ابتسام مرهون الصفار و ناصر حلاوي: محاضرات في تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص249.
28ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج2، ص217 (المكتبة الشاملة).
29ابتسام مرهون الصفار و ناصر حلاوي: محاضرات في تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص130.
30شوقي ضيف: في النقد و الأدب، دار المعارف، مصر،1999 ، ص65.
31الجاحظ: الحيوان، ج1، ص249 (المكتبة الشاملة)
32محمد مصطفى أبو شارب و احمد محمود المصري:قضايا الإبداع الفني: دراسة تحليلية في النقد العربي القديم، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر و التوزيع الإسكندرية، ط1، 2005، ص 34 و ما بعدها.
33شوقي ضيف: في الأدب و النقد، ص66.
34ابتسام مرهون الصفار و ناصر حلاوي: محاضرات في تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص147.
35البيان و التبيين للجاحظ ص 46،(مش)
36ابتسام مرهون الصفار و ناصر حلاوي: محاضرات في تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص148.
37نفسه،ص148.
38نفسه ،ص 151 حتى 157 للتفصيل في المبحث.
39ابن قتيبة الدينوري:الشعر و الشعراء ، ص02 (م ش) .
40ابتسام مرهون الصفار و ناصر حلاوي: محاضرات في تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص179
41ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ص02 (م ش)
42المصدر نفسه، ص2، مش
43 المكتبة الشاملة.
44 المصدر نفسه.
45المصدر نفسه.